النموذج النبوي للتعامل مع جائحة كورونا

أسماء محمد أمين سيد

ماجستير في البنوك الإسلامية

منذ ظهور فيروس كورونا، توالت الأخبار عن سرعة انتشاره، وتفاقمت حجم الاصابات وحصدت آلاف الأرواح. انتشر الفزع والهلع فى القلوب والنفوس وبدأت القوى تتساقط والأنوف تذلل والعقول تتخبط فلا أحد يكاد يصدق أن الدول العظمى تسقط من شيء لا يُرى.

سبحان الله القائل: **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ** (المدثر: ٣١). بدأت الصين سياستها للتصدي لهذا الوباء من خلال فرض حجر صحي على مدينة يوهان بؤرة انطلاق الفيروس، وحينها شعرنا نحن المسلمون بالفخر؛ فأول من علم البشرية مفهوم الحجر الصحي هو معلم الخلق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وفي هذا قلة دراية وتقصير منا بعدم البحث والتأمل في شريعتنا الغراء وسنة نبينا المطهرة فالمتأمل قليلاً يُدرك أن الأمر لا يقف عند الحجر الصحي، فهناك الكثير من تعاليم ديننا وسنة نبينا تعلمنا كيف نتعامل مع أي وباء وكيفية القضاء عليه– ولعل في هذا المقال نذكر بعضًا منها – ومن ذلك:

أولاً: مراعاة العامل النفسي

يعتبر الأطباء العامل النفسي نصف العلاج من أي داء، فقبل اتخاذ أي إجراء لابد من تهدئة الناس ورفع الروح المعنوية لديهم؛ لنستطيع التغلب على الوباء؛ فالخوف يستطيع أن يقتل الفرد قبل أن يصيبه الفيروس وبالتالي فالخوف يضاعف من تأثير الفيروس على المجتمع. ولا يُجدي نفعًا أن نعتقد أن هذا الوباء غضب من الله وأن الله سيهلكنا كما يدعي البعض؛ فلو أراد الله لنا الهلاك لهلكنا مثل بعض الأقوام الذين سبقونا. قال تعالى: **فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** (العنكبوت: ٤٠). وقد أخبرنا نبينا الكريم أن هذه الأوبئة إنما هي من تجليات الرحمة الإلهية للعباد، فالابتلاءات دائمًا ما تكون فرصة لمراجعة النفس والتقرب إلى الله، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: **(سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون، فأخبرني أنه كان عذابًا يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله رحمة للمؤمنين. ليس من عبدٍ يقع الطاعون،**

فيمكث في بلده صابراً، يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له، إلا كان له مثل أجر الشهيد)، وعلى إثر ذلك فهم الصحابة رضوان عليهم كيفية التعامل مع الأوبئة، واستشهد عدد من كبار الصحابة في طاعون عمواس؛ منهم: معاذ بن جبل وأبو عبيدة بن الجراح الذي وقف خطيباً في الناس قائلاً: "أيها الناس؛ إن هذا الوجع رحمة بكم، ودعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم، وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم لأبي عبيدة حظه".

فيتوجب على العباد الصبر على البلاء وحسن الظن بالله متقربين إليه مطمئنين بذكره؛ نستجديه أن يصفح عنا ونتوب توبة صادقة متخلين عن معاصينا وعن ظلمنا لأنفسنا وغيرنا ورد الحقوق إلى اصحابها ونتحلى بالصبر متوكلين على ربنا فإذا ما قضى الله على عبده بالموت كان رحمة وفضلاً، وخاتمة حسنة، وشهادة صادقة. يُكرم بها في الدنيا والأخرة.

ثانيا: حفظ النفس هو من الكليات الخمس التي جاءت الشريعة لحفظها

إن حرمة النفس عند الله عظيمة لذا ليس من الغريب أن تكون مقصد من مقاصد الشريعة الكلية؛ فعن ابن عمر قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة، ويقول: ما أطيبك، وأطيب ريحك! ما أعظمك، وأعظم حرمتك! والذي نفس محمد بيده، لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك، ماله، ودمه.(أخرجه ابن ماجه). ولذلك ينبغي علينا أن نحافظ على سلامة أنفسنا وغيرنا. ويتم ذلك في ظل أزمة كورونا من خلال الالتزام بالإرشادات التي يراها الأطباء لازمة. فإذا أوجب الأطباء ضرورة الحجر المنزلي للحفاظ على سلامتنا فلا يجب أن نخالف ونعرض أنفسنا لخطر الإصابة إلا في حالة الضرورة القصوى، قال تعالى: **لَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** (البقرة: ١٩٥)؛ فلا يجب أن نترك أسباب الوقاية ونقول نخرج ونتركها لله متوكلين عليه؛ **قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا** (التوبة: ٥١)، نعم صحيح أنه لن يصيبنا إلا ما كُتب لنا والتوكل على الله هو من عقيدة المؤمن ولكن يجب الأخذ بالأسباب. روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه: **(أن جاء رجلاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ناقته فقال: "أعقلها وأتوكل، أم أتركها وأتوكل؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: اعقلها وتوكل)**، وهذه رسالة قوية لمعلم الخلق على ضرورة الأخذ بالأسباب أولاً؛ ثم يتوكل على الله، ويدعوه وينتظر معونته سبحانه، ومن ثم تشاء إرادة الله.

ونحافظ على غيرنا؛ فإن شك أحد منا بأنه مصاب بهذ المرض فيجب أن يعزل نفسه وأن يحرص على ألا يعرض غيره للإصابة، وإن فعلها أصبح آثم ويَعُد هذا بمثابة قتل نفسٍ بريئةٍ. قال تعالى: **مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا** (المائدة: ٣٢) وهذه الآية العظيمة تبين أيضًا مدى أهمية حرمة النفس عند الله وأن قتل نفس واحده بمثابة قتل للناس جميعًا وهذا بدوره يجعل الأفراد يشعرون بالمسؤولية وعدم الاستهتار تجاه أرواح الناس. مما يؤسس لسد منيع في مجابهة هذا الوباء.

ثالثًا: النظافة من الإسلام

شددت منظمة الصحة العالمية على ضرورة النظافة للوقاية من الفيروس والتخلص منه بغسل اليدين بالماء والصابون والحرص على نظافة الاسطح المعدنية ومقابض الابواب وغيرها. ولا شك أن الإسلام جاء قبل ١٤٤٠ عامًا ليؤكد أهمية النظافة أنها من الإيمان فلا تصح الصلاة بغير الوضوء وكثيرة هي المواقف التي تستوجب الاغتسال لإقامة العبادات ولا تُقبل توبة الإنسان بغير نظافة القلب وعزمٍ صادقٍ على ترك المعصية. وجعل لها منهج شامل وآليات، وهذا المنهج يبدأ من قص أظافر القدمين حتى نظافة القلب والعقل فهي لا تقتصر على الأمور الحسية فحسب بل تتعمق إلى الأمور الباطنة؛ (كنظافة القلب من الشرك والحقد والرياء، والعقل من الأفكار الخاطئة المسمومة، والجوارح من الأخلاق المذمومة كالغش والكذب وقول الزور وغيرهما).

والنظافة الحسية تهدف إلى إبعاد الأجسام عن ما يتصل بها من الأوساخ والأدران ومن مظاهر ذلك: الوضوء، هذه العبادة العظيمة التي تُؤَدىَ خمس مرات في اليوم للصلاة والتي أخبرنا نبينا أنها تُمحى عنا الخطايا وتكفر عنا الذنوب، فقد أخرج الإمام أحمد والنسائي عن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(إذا توضأ العبد المؤمن خرجت خطاياه من فيه، وإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه، وإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه، وإذا غسل يديه خرجت الخطايا حتى تخرج من تحت أظافر يديه، فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه، فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من أظافر رجليه)**، فالوضوء يكسب الجسد نشاطًا وتزيل عنه ملايين الميكروبات والجراثيم. والاغتسال، ففرض الإسلام على الإنسان الاغتسال بنوعيه الواجب والمستحب.. وشرع سنن وآداب للطعام والشراب وحرم على المسلم ما اشتمل على الأقذار من المأكولات والمشروبات والمنكوحات. فحُرم عليه تناول

الميتة وما لحق بها والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله؛ لما فيها من أضرار وجراثيم، وشرب الخمر والمخدرات وسائر المسكرات؛ لما فيها من إذهاب العقل وإمراض الجسد .

إن أزمة كورونا جعلتنا نلتفت إلى أن منهج النظافة لحماية صحة الإنسان في الإسلام منهج شامل يستحق أن تُفرد له الأبحاث ويطبق في جميع دول العالم ولعل سبب قلة وفيات المرض على بلاد العالم الإسلامي مقارنة ببقية دول العالم يكمن في النظافة .

رابعًا : تطبيق الحجر الصحي

أخبرنا نبينا الكريم منذ ١٤٤٠ عامًا عن الحجر الصحي، فقال صلى الله عليه وسلم : **(إذا سمعتم به – أي الطاعون – بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه)**، وأوضح أجر من إذا وقع بأرضه وصبر، ومن إذا فر منه في حديث عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**الفار من الطاعون كالفار من الزحف، والصابر فيه كالصابر في الزحف**)، رواه أحمد . وهذا ما فعلته الصين مع بداية الأزمة فعزلت مدينة وهان عن باقي المدن الصينية وفرضت الحظر عليها فلا يدخلها أحد أو يخرج منها مما أدى إلى عدم تسرب الفايروس إلى باقي المدن، وهذا دليل على نجاح الحجر الصحي في السيطرة على الأوبئة .

خامسًا : ترك السلوكيات الرأسمالية الهدامة كالاحتكار والإسراف وغيرهما

وهو ما تحدثت عنه في مقالي السابق؛ أي عن خطر هكذا سلوكيات وما تؤدي إليه من مزيد من الأعباء على المجتمع في زيادة الخطر، حيث يمكن للاحتكار أن يزيد من مضارها إلى حد لا يمكن تصوره . كما أن سلوك الأفراد في التهافت على شراء السلع بكميات زائدة عن الحاجة وتخزينها يُزيد من الطلب عليها؛ ومن ثم تتضاعف أثمانها وهو ما يسهم في ظهور أزمات جديدة تضر بالاقتصاد وتُزيد من المحنة سوءا، فإذا كانت تلك السلع ضرورية فقد تشكل خطورة في مواجهة الوباء المنتشر، فلا يستطيع الفقراء وأصحاب الدخل المحدود اقتناءها؛ مما يجعلهم ضحية، وعرضة للوباء فتصبح الكارثة إنسانية .

لذلك دعا نبينا الكريم عن ترك تلك العادات السيئة فقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : **(لا يحتكر إلا خاطئ)**، أي آثم، ورفع الأسعار لاستغلال حاجة الناس من قبيل أكل أموال الناس بالباطل، هو حرام شرعًا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(ولا يحل مال امرئٍ مسلمٍ إلا بطيب نفسٍ منه)** . كما يجب أن

نفكر في غيرنا ولا نسرف في اقتناء الموارد وترشيد الاستهلاك حتى لا يحدث بها نقص ويستطيع الفقراء الحصول عليها؛ فعن أنس ابن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: **(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)**.

وترك تلك السلوكيات يعمل على تخفيف الضغوط الاقتصادية على الدولة والأفراد في وقت الأزمات ومن ثم تخفيف حدتها مما يسهل حلها. فمما يفاقم حجم الأزمات هو تطورها وتشعبها إلى أزمات أخرى مما يطول الأمر ويتعقد.

سادسًا: تبنى كل أشكال التكافل والتضامن الاجتماعي

إن من أعظم القيم التي أرساها الإسلام في المجتمع واعتبرها ركنًا ركينًا من أعمدته هو التكافل بين أبنائه وتضامنهم فيما بينهم، وفي ظل ما نعانيه من فرض حجر منزلي وكساد للاقتصاد وتسريح للكثير من العمالة نحتاج وبقوة لتفعيل كل أشكال التكافل والتضامن وتعجيل الزكاة وصرف الأموال فى أوجه البر واقتناء الأدوات الطبية كالكمامات والكحول وادوات التنظيف وتوزيعها على الناس والمستشفيات – مساعدة للغير – وبخاصة المسنين الأكثر عرضة للخطر في الحصول على متطلباتهم دون الخروج من منازلهم؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" من نفس عن مؤمنٍ كربةً من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسرٍ يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مُسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)**.

ويجب على أصحاب رأس المال الحرص والحفاظ على صحة موظفيهم وتوفير سبل الوقاية لهم وإعطائهم الإجازات وعدم انقاص المرتبات. وتكافل المجتمع فعن أبي سعيد الخدري، قال: **(بينما كنا في سفرٍ مع النبي، جاء رجل على راحلة له جعل يصرف بصره يمينًا وشمالاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مخاطبًا من عنده: من كان معه فضل ظهرٍ فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له، قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر، حتى رأينا أنه لا حق لأحدٍ منا في فضل)**.

أن رفع ما بالأمة من بلاء أو التخفيف من آثار جوائح وكوراث لا يكون إلا بقدر ما بين الناس من تراحم وتكافل.

سابعًا: الاكتفاء الذاتي من الغذاء والدواء واعتبار البحث العلمي

إن من المشاهد التي رأيناها جميعًا في محنة أزمة كورونا؛ أن الدول أغلقت حدودها وانغلقت على أمرها، بل إن بعض الدول سرقت مساعدات لدول غيرها، واعلنت دول اقلاعها عن التصدير خوفًا من نقصٍ قد يصيب شعوبها ومن بينها دولة كازخستان أكبر مصدر للقمح مما يهدد الدول المستوردة للحبوب الأساسية كالقمح والأرز والذرة بأزمات. ولابد لهذه الدول أن تستوعب الدرس جيداً وان تقوم بالبدء فوراً في تغيير سياستها وتوفير الأمن الغذائي للسكان، وتحصينهم من الأزمات في الغذاء والدواء. وهنا يستوقفني قدرة الفيروس على تصحيح الأوضاع الخاطئة، فكيف لدولة أن تعتمد على غيرها في غذائها؟!، فقد ورد إلينا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة المنورة رأى اليهود قد نشبت مخالبهم فى أهل المدينة ويتحكمون بهم؛ فهم المثقفون الذين سيطروا على أهل المدينة بثقافتهم وهم التجار الذين بيديهم الأسواق وهم أيضاً تجار السلاح كالسيف والرمح والسهم، وأنهم قد أفسدوا أهل المدينة بالخمر والبغاء ونحو ذلك.

فعزم رسول الله صلى الله عليه وسلم – بأمر الله تعالى – أن ينقذ أهل المدينة من اليهود؛ فلما أُسر جماعة من أهل بدر جعل الفدية أن يعلم الكافر الذي يستطيع القراءة والكتابة عشرة من المسلمين. وبذلك تعلم المسلمون وأخذوا يعلمون بعضهم بعضاً إلى جانب العلوم الشفهية التي كان يلقيها عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتقنوا العلم ولم يعد ينحصر في اليهود. بعد ذلك قال لهم الرسول اتجروا أنتم، وبذلك استغنوا عن الشراء من اليهود. بعد ذلك أمر رسول الله المسلمين أن يذهبوا ويتعلموا صنع السلاح، فذهب بعضهم إلى اليمن فتعلموا صناعة السيف والرمح والخوذة والدرع ونحوها وبذلك استغنوا في سلاحهم عن اليهود. وبهذا استطاع النبي أن يحقق لأهل المدينة استقلالهم وعدم ترك أمرهم لغيرهم ليتحكموا بهم كيف شاءوا.

إن الأمن الغذائي هو بمثابة أمن قومي يجب على الدول السعي لتحقيقه والحفاظ عليه. كما أن الاهتمام بالمنظومة الصحية أمر حتمي يجب على الجميع اعتباره؛ فقد أثبت الفيروس أنه لا يوجد غالٍ أثمن من الصحة أدامها الله على الجميع. كيف أسهمت تعاليم الإسلام في الحد من انتشار كورونا؟